

المجتمع الحجازي إبراهيم القرشي



كنت في مقالة سابقة ذكرت ما لأهل الحجاز من ميزة في إحياء التراث الشعري الفصيح وإذاعته في مجالسهم ومناسباتهم ، وها أنا اليوم أستكمل ما بدأت لأشرف عن شيء من أسرار حب هذا المجتمع لتراث العربية وتعلقهم به فيما ينتجون من فكر وأدب ، وعند النظر إلى التركيبة الاجتماعية في المدن الحجازية المتحضرة نجد أن هذا المجتمع متفرد في تركيبته عن باقي المجتمعات في الجزيرة العربية، فهو مجتمع لا يرتبط برباط العصبية القبلية، ولا بروابط العرق أو اللون ؛ لأنه مجتمع متعدد الأعراق والأنساب يتألف من أسر كريمة ، وفد أجدادهم منذ زمن بعيد من كل أصقاع الدنيا إلى حيث تهفوا الأفئدة استجابة لدعوة أبيهم إبراهيم (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكروا)..

لذا كانت الوشيجة الدينية والأخوة الإسلامية هي الرباط الوحيد الذي يجمع بين أبناء الحجاز، ولما كان التراث العربي والإسلامي متمثلاً في اللغة العربية الفصيحة هو المعبر عن تلك الوشيجة، تعلق به أبناء مكة وماجاورها واجتمعوا عليه؛ فرأينا هذه العناية بالشعر الفصيح في المجتمع الحجازي حفظاً وإنشاداً وتذوقاً وإنتاجاً وظهر عبر الأجيال أدباء حجازيون كان لهم القدر المعلن في فنون الأدب شعراً ونثراً ، وإذا كان من الطبيعي لأي لغة في أي مكان أن تخبو حتى تندثر معالمها بما لها من تاريخ وتراث لأي سبب ، فإن اللغة العربية في مهدها ومهوى الأفئدة ومآرز العلم والعلماء ظلت حية معبرة على الرغم من مرور الزمن وتعاقب الأجيال مصداقاً لقول الله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ..

و لذا بقي تراثها الأدبي محفوظاً بحفظ القرآن الكريم حاضراً متجدداً بين أبنائه يستوي في حبه وفهمه وتذوقه العامي والمثقف ، ومن هنا يظهر لنا السر في تأثير المجتمع الحجازي به وتمسكهم به .

وأنا هنا لا أزعج أن العناية بالتراث مقصورة على أبناء المجتمع الحجازي ، فما زالت الأمة في كل مكان وزمان تحتفي بتراثها وتستحضره وتضيف إليه و تفاخر به الأمم وتستنير به كلما ضلت طريقها، ولكنني أردت أن ألمح إلى مكانته في نفوس المجتمع الحجازي خاصة ؛ فهم به أولى، وإليه أقرب وأحوج ، ولما كان الشعر حلية هذا التراث ، وديوانه الثابت ، وميدانه الذي يتنافس فيه المتنافسون؛ رأيناهم اليوم في مجالسهم ومندلياتهم يرددونه ويلتذذون بإنشاده ، فسبحان من علم آدم الأسماء كلها .

إبراهيم القرشي